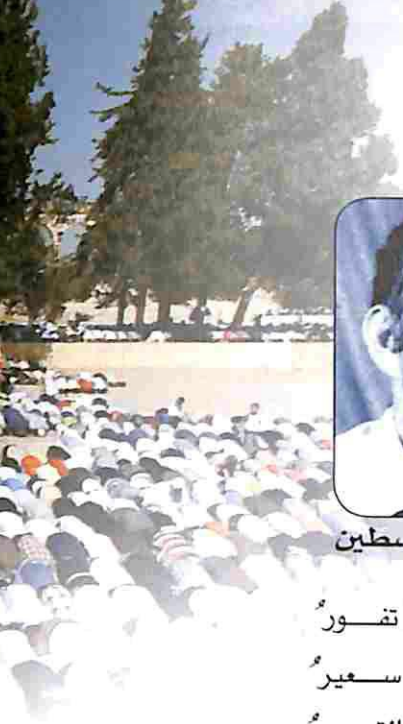

وإن زحفوا فللدنيا هدير

محمود مفلح - فلسطين

إذا كانت قدور الناس تصفو ... فإن قدورنا أبداً تفورُ
و إن كانت همومهم رماداً ... فإن هموم أصغرنا سعيرُ
نغني والنوافذ مشرعات ... على دمنا و ترمقنا القبورُ
فلا الأطفال في بلدي صغار ... و لا وجه الطفولة مستديرُ
ولا فصل الشتاء به شتاءٌ ... ولا زهرُ الربيع به نضيرُ!!

* * *

لقد كبر الصغار على الأماني ... وأنضج خبزهم همٌّ كبيرُ
وصار لكل ملحمة إمام ... وصار لكل قافية «جريرُ»
وللزيتون في دمهم حُداء ... وللأقصى حداؤهم الأخيرُ
قناديل تسافر في دجانا ... وتصعد حين يُقلقنا المصيرُ
جبال النار تعرفهم وسفح ... به راحت دوائرهم تدورُ
ومن قبل الصلاة لهم صلاة ... ومن بعد الطهور لهم طهورُ
أقول لجوقة الأقمار: غيبي ... فملء سمائنا قمر منيرُ
يعز على القوافل أن ترانا ... لنا قدم تهُمُّ ولا تسيرُ!!

* * *

أيخدعنا بمنطقه غبي ... ويرشدنا لغايتنا ضريرُ!
ويكبتنا الطغاة كما أرادوا ... لهم طيٌّ وليس لنا نشورُ!!
كأنا في مهب الريح ريش ... وفي غمراتها نحن القشورُ
نحدق بالشموس فلا ترانا ... ويحفزنا الجناح فلا نطيرُ
ونأكل خبزنا من غير ملح ... ونمشي والوراء لنا أميرُ!!
كأن القدس ليس لها رجال ... و شعب القدس ليس له جذورُ
و لاكتبت ملاحمنا مواضٍ ... و لا عشقت شواهقنا نسورُ

* * *

و أعجب كيف بعض القوم يُبْغى ... عليه فلا يغار و لا يغيرُ
و تهتز البلاد ومن عليها ... و في الحانات تهتز الخصورُ

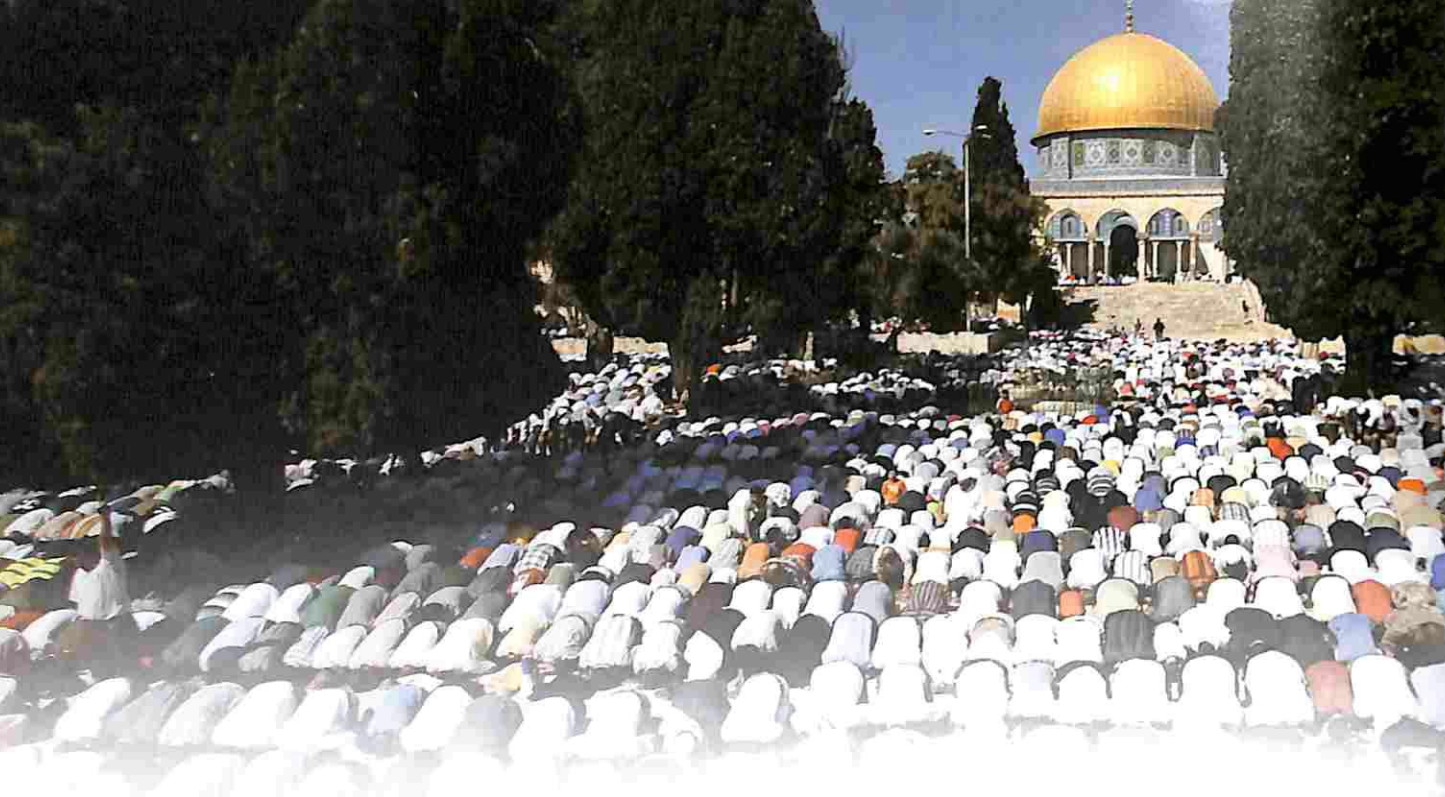

وأعجب كيف أبصرهم سكارى ... ولا قدح هناك ولا خمورُ!!
ومنا من يرى في الخيش خزاً ... ومنا من يضايقه الحريرُ

* * *

يتاجر من يتاجر في أسانا ... و ينهش لحمنا كلب عقورُ
إلى أعناقنا مدت نصال ... و أحقر ما بها نصل أجيرُ
وما زالت تؤرقنا ربوع ... وترحل خلف أضلعنا طيورُ

* * *

أننسى في دروب القدس «ليلى» ... وليلى تستغيث وتستجيرُ؟
وبعض السامعين له خوار ... وبعض النائمين له شخيرُ
و قبلنا الأكف لقاء سلم ... صغير ساقه بطل صغيرُ
وضيعنا الأمانة والأماني ... فلا زحف هناك ولا عبورُ

* * *

رجالاً أصبح الأطفال فينا ... و في أرض الرباط لهم زئيرُ
فلا تعجب و ليس لهم رصاص ... إذا وقعت على الموت الصدورُ
إذا هتفوا فللرايات خفق ... وإن زحفوا فللدنيا هديرُ
نعم ثاروا وعدتهم حجار ... و نحن -القاعدين- متى نثورُ؟
نعم ثاروا وكلهم جياع ... ونحن -المتخمين- متى نثورُ؟
كتاب الله أطلقهم فطاروا ... إلى زمن به عين وحورُ
دماؤهمُ على الساحات مسك ... ويمضي للعبير بك العبيرُ!
فنبت القدس ليس له نظير ... و حاشا أن يكون له نظيرُ
بماء الذكر يسقى كل يوم ... وفي أحشائها تنمو البذورُ